

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ٢ ربيع الأول ١٤٤٣ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ فَطَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى مَحَبَّةِ الْأَوْطَانِ، وَالْحَنِينِ إِلَيْهَا، وَالْحِفَاطِ عَلَى اقْتِصَادِهَا، وَقَدْ سَوَّى اللَّهُ ﷻ بَيْنَ مُصِيبَةِ الْمَوْتِ وَبَيْنَ الْإِخْرَاجِ مِنَ الْأَوْطَانِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾، وَقَدْ ضَرَبَ رَسُولُنَا ﷺ أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ فِي مَحَبَّتِهِ لَوَطْنِهِ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ واقفاً عَلَى الْحَزْوَرَةِ فَقَالَ: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ، وَلَوْ لَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ». وَلَيْسَ هَذَا هَدْيَ نَبِيِّنا ﷺ وَحْدَهُ، بَلْ هَدْيُ الْأَنْبِيَاءِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) جَمِيعًا، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَمَّا مَكَثَ فِي مَدِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ حَنَّ لِلرُّجُوعِ إِلَى بَلَدِهِ مِصْرَ، رَغِمَ مَا سَيَلَقِيهِ مِنْ مَتَاعِبٍ وَمَشَاقِّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ حُبَّ الْأَوْطَانِ وَالْحَنِينَ إِلَيْهَا مَعْرُوسٌ فِي الْفِطْرِ النَّقِيَّةِ، وَالْعُقُولِ الْأَبِيَّةِ، وَالنُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ، وَمَحَبَّةِ الْأَوْطَانِ تَسْتَلْزِمُ التَّكَاتُفَ وَالِاصْطِفَافَ مَعًا؛ لِمُوَاجَهَةِ الْأَعْدَاءِ دَاخِلِيًّا وَخَارِجِيًّا، وَيَلْزِمُ مِنْهَا الْمُدَاوِمَةُ عَلَى الْعَمَلِ وَالْإِنْتِاجِ، وَخِدْمَةِ الْوَطَنِ، كُلُّ فِي مَجَالِهِ وَمِحْرَابِهِ؛ وَلِذَا وَعَدَ رَسُولُنَا ﷺ مَنْ يَقُومُ عَلَى حِرَاسَةِ وَطْنِهِ، وَالِدِّفَاعِ عَنْ مُؤَسَّسَاتِهِ بِتَحْرِيمِ جَسَدِهِ عَلَى النَّارِ، وَكَفَى بِهَا مِنَّةً وَنِعْمَةً، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ ﷻ جَيْشَنَا جَيْشَ مِصْرَ الْعَظِيمِ فِي حَرْبِ أُكْتُوبَرِ الْمَجِيدَةِ، فَقَدْ بَدَلَ جُنُودَنَا الْأَبْطَالَ أَرْوَاحَهُمْ، وَرَوَّوْا الْأَرْضَ بِدِمَائِهِمْ؛ دِفَاعًا عَنْ وَطْنِهِمْ، وَعَبَرُوا الْقَنَاةَ وَهُمْ صَائِمُونَ، وَحَطَّمُوا أُسْطُورَةَ خَطِّ

بَارْلَيْفَ الَّتِي رَسَمَهَا الصَّهَابِينَةُ الْيَهُودُ، وَعَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْتَّكْبِيرِ؛ فَخَرَجَ الْعَدُوُّ مِنْ وَكْرِهِ خَائِفًا مَدْعُورًا مِنْ هَوْلَاءِ الْأَبْطَالِ الشُّجْعَانِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الشَّهِيدَ فِي مَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ، وَمَكَانَةٍ عَظِيمَةٍ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ:

الشَّهِيدُ فِي أَعْلَى الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ، فَهُوَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرُحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ: أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ مَسْرُوقٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ - يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطَّلَاعَةً، فَقَالَ: «هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟» قَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يَتْرَكُوا مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تَرْكُوا».

الشُّهَدَاءُ لَا يَشْعُرُونَ بِالْمِ الْقَتْلِ وَسَكَرَاتِ الْمَوْتِ: أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ عَلَّامَةُ مِصْرَ أَحْمَدُ شَاكِرٌ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ

مَسِّ الْقَرْصَةِ».

لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيَزُوجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ».

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ حَرِصَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى نَيْلِ شَرَفِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَهَذَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ حَدِيثًا، فَلَمَّا دَعَا الدَّاعِيَ لِلْجِهَادِ خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ، فَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ تَغَسَّلَهُ الْمَلَائِكَةُ، أَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَابْنُ حِبَّانَ، وَحَسَنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ فِي «مَوَارِدِ الظَّمَانِ»، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ انْهَزَمُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى انْتَهَى بَعْضُهُمْ إِلَى دُونَ الْأَعْرَاضِ عَلَى جَبَلٍ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ كَانَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ التَّقِيُّ هُوَ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، فَلَمَّا اسْتَعْلَاهُ حَنْظَلَةُ رَأَاهُ شَدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، فَعَلَاهُ شَدَادٌ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ، وَقَدْ كَادَ يَقْتُلُ أَبَا سُفْيَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ حَنْظَلَةَ تَغَسَّلَهُ الْمَلَائِكَةُ، فَسَلُّوا صَاحِبَتَهُ»، فَقَالَتْ: خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ لَمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنَّكَ قَدْ غَسَلْتَهُ الْمَلَائِكَةُ».

وَهَذَا عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُلَبِّي دَعْوَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مُسْتَطِيلًا لِحِطَّاتٍ يَأْكُلُ فِيهَا تَمْرَاتٍ يَسِيرَاتٍ، مُشْتَقًا إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَوْمُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»، قَالَ: عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةُ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ أَنَا حَيِّتٌ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لِحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ فَتَحَ لَهَا أَبْوَابَ الْخَيْرِ وَالشَّهَادَةِ، فَالشَّهَادَةُ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى الْمَوْتِ فِي الْمَعْرَكَةِ فَحَسْبُ، وَلَكِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَثِيرُونَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ مَا يَجْرِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ غُسْلِ وَتَكْفِينٍ وَصَلَاةٍ، لَكِنْ يَنْتَظِرُهُمُ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ، وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ جَزَاءَ صَبْرِهِمْ وَاحْتِسَابِهِمْ، أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَتِيكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «...الشَّهَادَةُ سَبْعُ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ [هُوَ الَّذِي يَمُوتُ بِالطَّاعُونَ]، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ [قُرُوحٌ تُصِيبُ الْإِنْسَانَ دَاخِلَ جَنْبِهِ]، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمُعٍ شَهِيدٌ [تَمُوتُ وَفِي بَطْنِهَا وَلدًا]». قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»: وَلَمْ يَقْصِدِ الْحَضَرَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ اجْتَمَعَ لَنَا مِنَ الطَّرِيقِ الْجَيِّدَةِ أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ خَصْلَةً. وَعَدَّ أَيْضًا: اللَّدِيعَ، وَالشَّرِيقَ، وَالَّذِي يَفْتَرِسُهُ السَّبْعُ، وَالْخَارَ عَنْ دَابَّتِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مِمَّا نُنَبِّئُ عَلَيْهِ فِي الْجِهَادِ أَنَّهُ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ تَحْتَ رَايَةٍ وَوَلَاةِ الْأُمُورِ. قَالَ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ عُسَيْمِ بْنِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي «الشَّرْحِ الْمُمْتَعِ»: لَا يَجُوزُ غَزْوُ الْجَيْشِ إِلَّا بِإِذْنِ الْإِمَامِ مَهْمَا كَانَ الْأَمْرُ؛ لِأَنَّ الْمُخَاطَبَ بِالْغَزْوِ وَالْجِهَادِ هُمْ وَوَلَاةُ الْأُمُورِ، وَلَيْسَ أَفْرَادُ النَّاسِ، فَأَفْرَادُ النَّاسِ تَبِعُ لِأَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَغْزُو دُونَ إِذْنِ الْإِمَامِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الدَّفَاعِ، وَإِذَا فَاجَأَهُمْ عَدُوٌّ يَخَافُونَ كَلْبَهُ فَحِينئذٍ لَهُمْ أَنْ يُدَافِعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ لِتَعَيُّنِ الْقِتَالِ إِذَا.

وَإِنَّمَا لَمْ يَجْزُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ مَنْوُطٌ بِالْإِمَامِ، فَالْغَزْوُ بِإِذْنِهِ افْتِيَاتٌ وَتَعَدُّ عَلَى حُدُودِهِ، وَلِأَنَّهُ لَوْ جَازَ لِلنَّاسِ أَنْ يَغْزُوا بِدُونِ إِذْنِ الْإِمَامِ لَأَصْبَحَتِ الْمَسْأَلَةُ فَوْضَى، كُلُّ مَنْ شَاءَ رَكِبَ فَرَسَهُ وَغَزَا، وَلِأَنَّهُ لَوْ مَكَّنَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ لَحَصَلَتْ مَفَاسِدُ عَظِيمَةٌ، فَقَدْ تَتَجَهَّزُ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْعَدُوَّ، وَهُمْ يُرِيدُونَ الْخُرُوجَ عَلَى الْإِمَامِ، أَوْ يُرِيدُونَ الْبَغْيَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾، فَلِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ وَلِغَيْرِهَا أَيْضًا لَا يَجُوزُ الْغَزْوُ إِلَّا بِإِذْنِ الْإِمَامِ.